لجنة النشر للجامعيين

رباعيات الخيام

نظمها بلغة الأدب الشعبي

حسين مظلوم رياض

يطلب من

مكتبة مصر ومطبعتها

٦٣ شارع الفجالة مصر

لجنة النشر للجامعيين (لجنة الإنتاج الفنى)

أصدرت

أحمس	عبد الحميد جوده السحار	مايو سنة ١٩٤٣
رادوبيس	نجيب محفوظ	يولية سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفارى	عبد الحميد جوده السحار	سبتمبر سنة ١٩٤٣
قنابل	محمود تيمور بك	نوفمبر سنة ١٩٤٣
أخناتون ونفرتيتى	على أحمد باكثير	ديسمبر سنة ١٩٤٣
ثلاثة رجال وامرأة	عبد القادر المازنى	يناير سنة ١٩٤٤
أقاصيص	المازنى، تيمور، المصرى سعيد عبده - صلاح ذهنى عادل كامل - نجيب محفوظ أبو الفضل - السحار	فبراير سنة ١٩٤٤
سلامة القس	على أحمد باكثير	مارس سنة ١٩٤٤
ويك عنتر	عادل كامل	ابريل سنة ١٩٤٤
رباعيات الخيام	حسين مظلوم رياض	« سنة ١٩٤٤

تحت الطبع

بلال مؤذن الرسول	عبد الحميد جوده السحار	مايو سنة ١٩٤٤

لجنة النشر للجامعيين

شعبك هلال الشعوب وانت هلال الشباب
ولك فى عرش القلوب فى كل مهجه كتاب
ومصرك الفاروقيه
لها المكانه العليه
على البلاد أجمعين

٭ ٭ ٭

مولاى : عندك تحف والمكتبه بحر زاخر
إقبل هدية صدف خليها وسط الجواهر
رمز الولاء والتحيه
ولو قبلت الهديه
أكون من الشاكرين

حسين مظلوم رياض

١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م

تصـــدير

بقلم نقيب الأدباء

كامل كيلانى

قال لى صاحبي : سمعت أنك وعدت بتقـديم بعض الأزجال وهو تناقض غير عادى واضطراب لا سبيل إلى تعليل شذوذه فهلا تفصح لنا عن مصدر هذا التناقض الذى أشرفت على الوقوع فيه ! كيف تسمى من يقف حياته على الإشادة بالفصحى وتلقينها للأطفال منذ نشاءتهم ثم يشفع حماسته للفصحى بحماسة جديدة فجائية للغة الشعب يعلنها فى كتاب من كتبها مهما بلغ من الروعة والإعجاب فلن تخرج لغته عن العامية ؟

قلت : الآن عرفت أنك مسرف فى دهشتك ولـكنى أسألك فى غير تحد ولا تفنيد . - ألا يعجبك غناء البلبل ؟

قال : بلى ويملأ نفسى بهجة وانشراحا — وهل ترى أن الزجل كلغـة الطير جدير أن نشجعه ونهتف له ونحبب الجمهور العربى فيه ؟

قلت : بل إن كراهيتى للزجل كراهيـة أصيلة لا سبيل إلى تخفيفها ومحاربتى له محاربة عارمة لا هوادة فيهـا ولـكن « لـكل قاعدة شواذ »

قال : ألا تكاشفنى بدخلة نفسك ؟ كن صريحاً يا أخى وأعلن فى

مقدمتك أنك مضطر إلى تغيير مبدئك لتجزى بالوفاء من وفى لك، وتكافئ بالإغراق فى الثناء من أغرق فى الثناء عليك ،

قلت : ما أبرىء نفسى من تهمة يحاول أن يلصقها بى من أحسن ظنه أو أساء ولكنك تعلم أن وفائى للفن لا يقل عن وفائى للأصدقاء، فأنا لا أجامل الصديق على حساب الفن ، ولا أظلم الفن فى سبيل الصداقة ، ولن تقف كراهيتى للغة القوم ، ومحاربتى إياها دون الاعتراف لمن يبدع فيها بمدى تفوقه وإبداعه؛ولن تقف خصومتى لتلك اللغة دون الاعتراف بما يسديه للشعب المخلصون من خدامها المثقفين ، وبما يقدمونه إليهم من غذاء فكرى صحيح وتوجيه إصلاحى رشيد ، لا سيما إذا وجه المبدع فنه الصادق إلى رفع السواد وتحسين لغته .

ولا تنس أيها الصديق أن صاحبى الذى أقدم له كتابه قد فتح فى أدب الشعب باباً جديداً واختط لتثقيفه منهجاً رشيداً وحقق فى سبيل تنويره أملا بعيداً ، فقرب له من شارد المعانى ، وأسلس له من جامح الخواطر وفتح له من مغلق السدود ما لم يسبقه إليه غيره من أئمة هذا الفن فى كافة عصوره — فله فى هذا الباب الجديد — فضل السبق ، وفضل التجويد ، وفضل الإبداع .

فقال صاحبى : وقد شاعت فى أساريره أمارات الإعجاب بعد أن زالت منها أمارات الحيرة — وأى باب مغلق فتح على يديه ؟

قلت : هل كان يدور بخلدك أن تنقل رباعيات الخيام إلى لغة الخواص المتداولة فى عبارة تسمو فى لغتها العامية حتى تدنو من أسلوب الفصحى، وتعلو بأناقتها وتجويدها حتى تذكرنا بالفنون الرائعة

التى أبدعها أفذاذ الزجالين من شعراء الأندلس فى موشحاتهم ومقطوعاتهم ومواويلهم الساحرة .

إن كل زجال يعنى برفع فنه وينجح فى تثقيف سواد أمته لهو جدير منا لا أقول بالتقدير بل أقول ، بالإعجاب والإكبار .

ولقد رأيت صاحبي يعجب بأفذاذ شعرائنا كالمعرى وابن الرومى وابن زيدون والبحترى والمتنبي ، ويروى لهم ويشيد بذكرهم فلم أستكثر على مثل طبعه الموهوب أن يقول فى رباعيات الخيام التى ابدعها فنه الجميل فى النشيد الأول :

كام عرايس فى البساتين من زهور　　كام ثغور للورد أشهى من الثغور
كام غصون فى الميل تغير منها الخصور　　كام قوام مياس بخفه واعتدال
فيه عيون للنرجسه كحل وحور

أو يقول :

كلنا عايشين فى بستان الأمل　　بين رياحين الخيال يمكن لعل
ربما ياريت عسى يحلى الغزل　　للنجوم نشكى الحبيب ويا الهلال
فى أمانى الوجد فى ليل السهر

أو يقول :

مخلوقات الكون أبوها وأمها　　من تراب الأرض أولاد بطنها
بعد حين ضمت عيالها ف حضنها　　فى حنان الأم نرجع للمآل
واللى كان فوق سطحها يبات فى حفر

من نفس خارج من الصدر اندفع　　جه نفس لم يهتدى خاب وانقطع
والحياة نفسين مادام زاد وارتفع　　يبتدى فى النقص من بعد الكمال
زى نقص البدر حين يكمل قمر

أو يقول فى النشيد الثانى :

والحياة زهره فى بستان العدم
أصلها غرس الإراده فى القدم
لغز سموه الأجل سر القلم
نور جبين حلو الرضاب   شعره كان فوقه حجاب
زى ماغطى الأجل نور الجبين

كلنا أشباح خيال تحت الستاير
جوا حفلة رقص فيها اللعب داير
والمصابيح ازدهت فيها المناظر
تنتهى الحفـــله تعود   ليل حسب طقس الوجود
والخيـــالات تختفى للناظرين

تحت فصلين مسرح الليل والنهار
طلعوا أطفال الحياة شياب كبار
كلهم نايمين يجى سيل من بحار
والتعيس ويا السعـــيد   يصحى للســـفر البعيد
يصبح المسرح جميعه راحلين

قال صاحبي : لقد أبدعت فى صوغ الأدلة وضرب الأمثال كما أبدعت فى اختيار المثال

قلت : بل أبدع شاعر الشعب مظلوم الذى نظم من سنى الأزهار والرياحين طاقة رائعة لعشاق الجمال ؟

كامل كيلانى

الفن الخالد

فى رباعيات الخيام

« تفضل زميلى الأستاذ الشاعر الزاجل محمود »
« رمزى نظيم بهذه الكلمه فى الرباعيات قال »

حاول دعاة المدرسة الحديثة بكل الوسائل والدعايات ، محاربة فن الزجل ، فوقف حماته سداً مانعاً وحصناً حائلا ، يذودون عن فنهم الخالد بذلك الفيض السهل الممتنع الذى أجراه الله على ألسنتهم وفى أقلامهم فناً يتغنى به المغنون وينشده المنشدون ويترنم به المترنمون ، فيطرب العالم وتهتز جوانحه ، وتسرى فيه نشوة الطرب والسرور .

وللزجل فى غير مواقف الطرب والنشوة والموسيقى مواضع أخرى للخلود والعظمة تسابق فى ميدانها أئمة الفن وأمراؤه الذين نشأوا فى ظل دوحته وتساقوا كؤوسه صافية مترعة فكانوا جميعاً قوة للفن وحياة وتجديداً — ثم شاء شيخ الزاجلين بغير منازع وأمامهم بغير مدافع صديقنا الأستاذ الكبير حسين مظلوم رياض أن يتوج جهود زملائه بآية خالدة لم يسبق إليها فعمد إلى ترجمة — رباعيات الخيام — بالزجل فيسر الله له الطريق ووهبه الإلهام فسبكها فى ثلاثة أناشيد تضمنها هذا الكتاب فجاءت مثلا أعلى لروح الخيام وخلوداً دائماً لفن الزجل — ومن أشد غيرة على الفن من مظلوم الذى ظل يكافح فى سبيله ويذود عن حياضه بقلمه وابتداعه

نصف قرن من الزمان يصول ويجول منتصراً لفنه متشبثاً بكرامته .

ولرباعيات الخيام تراجم شعرية كثيرة للأساتذة الشعراء وديع البستانى ومحمد السباعى وأحمد رامى وكلها رائعة ولكن الروعة كل الروعة فى ترجمة مظلوم فقد كان حريصا على النزعة الصوفية لعمر الخيام فوفى معانيها حقها وأشبعها من روحانيتها ، وسكب فيها من سحر المعانى المعجز المعجب — وأشهد الله أننى ماعرفت بين الزاجلين أقوى من مظلوم فى لفظه وأعمق منه فى معانيه فهو فن حى وهو روح الفن وجثمانه بل روحه وريحانه وخمره ودنانه وسماره وندمانه ، وما تجلى مظلوم فى الفن كما تجلى فى رباعيات الخيام فقد سما بها إلى أعلى سماوات الفن وحلق فى أرفع مكان منه فتنزل عليه وحيه فكان أناشيد الرباعيات — وقد علم أهل الأدب أن رباعيات الخيام استعصت على الناقلين من شعراء الغرب والشرق ، فلها مئات التراجم عن الفارسية ونقلها إلى الزجل أشد وأقسى ولكن لغير الزاجلين الموهوبين فقد أوتى الزجل من الاتساع للمعانى مالم يتسع له الشعر فما قيدته قافية ، ولا وقف عند حد من الأوزان ، فقوافيه طليقة وأوزانه تخطت الحصر فوسع صدره كل معنى طريف وكل سمو روحى فكان منه الطرب وكان منه الفن .

هذه كلمتى فى رباعيات الخيام الزجلية والله المسئول أن يمد فى عمر صديقنا الأستاذ مظلوم ليجدد ويخلد الفن بما وهبه الله من قوة براعة وصياغة وصناعة والخير من عند الله . أبو الوفاء

محمود رمزى نظيم

تقدمة الأستاذ الكبير مصطفى الصباحى

لو أن ما يطلب إلىّ فى هـذه المقالة بحث فى حياة الخيام لهان الأمر ولساهمت فى المسألة جهد الطاقة وأدليت فيها بما يساورنى فى أمر هذا الرجل من آراء وأفكار .

ولو أن المطلوب نقد لكتاب وضع فى سيرة الخيام وحياته وآرائه وفلسفته ومذاهبه لكان أهون علىّ وأقل مؤونة ومشقة .

ولكنما الأمر أجل من ذلك شأناً وأرفع منزلة وأعلى مكاناً لاتصاله بمسألة عامة تختلف عندها الآراء ، وتتشعب المذاهب ويقع عليها الخلاف بين طبقات الكتاب وجماعة الأدباء وأهل الرأى والنظر من أبناء العربية : ذلك لأن الخيام — وهو رجل فيلسوف متزهد أو متصوف متعبد أو كائناً ما كان شأنه — إنما هو شخص عالمى الفكر بعيد الآفاق غير محدود المكانة فى عالم الفلسفة والبحث فإذا نقلت رباعياته إلى لغة من اللغات فإنما تنقل على أنها طراز أعلى لسمو الروح ودقة الحس وعلى أنها نسيج رفيع من ذوب الفكر الخالص الحر الذى لا يتقيد بالحدود ولا تقف دونه العقبات ولا ينتقص من مقدرته قيد من العرف أو العقيدة ولا يرده عن ملتقى آفاقه رغب أو رهب فهو لا يزال يسمو حتى يبلغ الجو الذى لا ترتفع إليه المادة ويدق حتى يخرج من نطاق المحسوسات والمرئيات فينطلق إلى الغاية منسرحا من الحوائل والموانع .

وهو لهذا جدير بأن يتحرى الأدباء من الكتاب والشعراء حين ينقلون شعره أو رباعياته إلى لغاتهم وضعها فى الأسلوب المتخير الرفيع الذى تبتهج به خواطر خاصة الخاصة وتجد فيه مراحاً لأفكارها وغذاء لعقولها وموضعاً لتقديرها .. وقد اضطلع بهذه المهمة الجليلة كبار الشعراء من الإنجليز وغيرهم من أدباء الأمم الحية الراقية فزادوا على نقل رباعيات الخيام مباحث فلسفية عظيمة القيمة عن حياة الخيام ومذاهبه واتجاهاته .

فأما فى العربية فقد نقلت لهذه الرباعيات ترجمات أربع بلغ بعضها نهاية الجودة فى باب البلاغة وحسن الأداء ؛ ولكن الخلاف واقع بين جماعة الأدباء على أى هذه الترجمات أوفى بالمعنى وأدق فى نقل آراء الخيام على حقيقتها والمرجح لدى أكثر أهل الرأى أن أحداً لم يبلغ الكمال ممن نقلوها إلى العربية — فى الترجمة الحقة عن مذاهب الخيام وآرائه . . فهو قد أثار مسائل متصلة بالفناء والخلود والحلول — وأثار مسائل متعلقة بالحساب والعقاب والبعث والنشور وأثار كثيراً مما يدخل فى باب البحوث الدينية والفلسفية — ولكن ترجمة من هذه الترجمات لم تؤد الغرض كاملا فإن بعضها تجاوز فيه صاحبه عن بعض آراء الخيام وبعضها عمد ناقله إلى التحوير فى هذه الآراء والزيادة عليها والانتقاص من أطرافها بحيث لا يمكن أبداً أن يعول باحث على هذه الترجمات فى تبين صفة الخيام الحقة ومذاهبه الصحيحة واتجاهاته الصريحة .

هذا من ناحية . . . ومن ناحية أخرى فإن هذه الترجمات تتفاوت

فى درجة البلاغة وسلامة التعبير وبين بعضها وبعض تفاوت كبير فى العبارة وفى المعانى ؛ فأما التفاوت فى العبارة فهو بلاشك ـ راجع إلى القوة البيانية والمقدرة الإنشائية لدى ناقل الترجمة . وأما التفاوت فى المعنى وهو بيت القصيد فإنما مرجعه إلى فهم الناقل مايريد نقله وتغلغله فى نفسية المنشىء الأول وتمثله فى هيئته ومعيشته وحياته وما يتناول من بحث وما يمارس من عمل ثم مقارنة ذلك كله بمحصل مايدعو إليه من آراء — وليقوم الشخص على مثل هذا المبحث ينبغى أن تتوفر له ثلاثة أشياء يأمن معها الخطأ فى النقل : أولها أن ينقل عن أصل صحيح لا مطعن عليه فهو بذلك يأمن مايدس على المنشئين الأولين من سقط وزور . . . وثانيها أن يكون مقتدراً فى اللغتين التى ينقل عنها والتى ينقل إليها وبهذا يستطيع أن ينقل صورة صادقة عن الأصل الصحيح — فأما الثالث فهو الدعامة التى لايستقيم البناء إلا بها والمركز الذى لاتدور الدائرة إلا عليه — وذلك أن يكون بين الناقل والمنقول عنه مشابهة فى شأن من الشئون أو مشاركة فى حظ من الحظوظ أو مناسبة فيما يتصل بأمرهما من ظروف فإنه بذلك حرى أن يكون كالمؤلف الأول سواء بسواء فى أداء العبارة وتصوير المعنى تصويراً صادرا عن الإحساس به وتذوقه لاعن تخيله أو الحكاية عنه .

وأغلب الظن أنه إن كان وقع لبعض الناقلين إلى العربية شىء من هذه الأمور فيما نقلوه عن الخيام فإنه لم تتفق لأحدهم كلها ولم تستقم لبعضهم عندما حاولوا ترجمة الرباعيات . فجاءت لذلك متناقضة كصورة ناقصة تناولها رسامون مختلفو المذاهب فى أصول التصوير والرسم

متباينو المشارب والأهواء غير متفق الظروف والملابسات فهى صورة كاذبة فى أوضاعها المختلفة لأن كل وضع إنما يؤدى معنى لا يتصل إلا بمصوره ولا مناسبة بينه وبين الأصل وإن اتفق معه فى العرض الظاهر فهو مخالف له تمام المخالفة فى الجوهر.

ولا خلاف لدينا على أن لغة الرباعيات فى الأصل الفارسى كانت أرقى ما تصل إليه مقدرة شاعر من أهل هذا اللسان فكذلك قال الناقلون عن الفارسية جميعاً بعد أن اعترف بهذه الحقيقة أدباء الفرس وشعراؤهم وكذلك نعتقد نحن أن ناقلى الرباعيات إلى العربية وإن أحسن بعضهم الصياغة وجود السياق لم يصلوا إلى مرتبة التصوير الصادق لإحساسات ذلك الفيلسوف الرفيع المذاهب — ولم يبلغوا الأفق الذى تسامت إليه عبقريته الفذة وذهنه المرتب الدقيق والذين يعنون بالجوهر دون العرض لا يعلقون كثيرا على العبارة وقد يتجاوزون عن معايب كثيرة فى رونقها وسبكها وسياقتها إذاهم وصلوا من ذلك إلى اللباب من المعانى والحر من الآراء والأفكار ومن أجل ذلك كان نقل الرباعيات إلى لغة الأدب القومى ولسان الشعب العربى الدارج عملا جديداً على أبناء العربية بل إن هذا العمل فى ذاته يحمل على الدهشة والعجب — لأنه كما قلنا من قبل جدير بهذه الرباعيات أن تختار لها السياقة القوية والديباجة الرائقة فى أفصح اللهجات وأبين اللغات.

ولكن العقل لا يتقيد والفكر حر وهو ملك للجميع ليس وقفا على طبقة دون طبقة ولا ميراثاً يورثه الشعراء والفصحاء بعضهم بعضاً فقد يكون الرجل الامى فيلسوفا وهو لا يدرى وحكيما وهو

لا يعرف و بليغا ولكنه غير معرب فكم من حكمة تجلت كالجوهرة الكريمة في شعر شاعر وإنما التقطها من فم عامى وصدر خلى من العلوم والمعارف وقلب لم يحو عبارة من كتاب ولم يتأدب بأدب الخواص . إنه إذن طراز جديد من العمل الأدبى ولون طريف من الأدب الشعبي جدير بأن يفحصه الفاحصون ويتناوله الناقدون بالمعايير التى تناسبه والمقاييس التى تصلح له - فإذا تبين أن الناقل أحسن النقل فى أسلوبه وجود العبارة فى نطاقه - وأدّى الأمانة كما ينبغى أن يؤديها الأديب المؤتمن على ثمرات عقول السالفين والأقدمين - كان ذلك سبباً للإشادة بذكره والاعتراف له بالفضل فى بابه .

وليكون الحكم صادقاً ودقيقاً ينبغى أن نعرض للناقل عرضاً سريعاً ونبادر هنا فننفى كل ظن قد يخطر على بال القارىء من أثر الصداقة التى تجمع بيننا وآصرة المودة التى تضمنا فإنّ الأدب الصحيح صريح لا يخجلُ وحرٌ لا يتأثر وليس تمنعنا الصداقة من تبيان العيوب - ولا تحملنا الجفوة على افتعال الذنوب .

فالأستاذ حسين مظلوم رياض كما أعرفه رجلٌ فذٌّ فى بابه فريد فى معناه لا يتفق وكثيراً من زملائه فى تعريف الخير والشرّ ولا تتفق له معهم مشاركة - فى مشارب الحياة - يذهبُ مذاهب دقيقةً فى تفسير بسائط الأمور فتتفتح عليه مذاهب كثيرة من مذاهب النظر فيشغله الدقيق إشتغاله بالجليل ولكل عنده مقدار - ولقد خالط من طبقات الناس أكثرها وقاسى من طوارىء الحدثان أمرها - واهتم للحياة وسخر منها وبالغ فى الحرص عليها وفرط فيها - وعرف

السرور والحزن طريقيهما إلى فؤاده - ونازل الدّهرَ فغلبه وخسر المعركة وهو جامع إلى هذا حكمة الشيوخ وأمل الشباب - تراه رجعياً وهو عصرى - فأما رجعيته فهى الغشاء الذى أكسبه إياه معرفة ما كان من خير فقدناه بذهاب زمنه حيث كان الإخوان والأصدقاء على غير ماتعرف اليوم من الوفاء والإخلاص فى الإخاء والصداقة - وأما عصريته فهى خلاصة الممارسة ونتيجة التجربة وسنة التطور والمجاراة .

فهو إذن من هذه الناحية قادر على فهم الخيام - وله مشاركة معه فى كثير من وجوه الحياة وغير قليل من النظر فى ملذاتها - فأما من ناحية أداء هذه المعانى التى فهمها فإنه من صناعة الزجل بحيث لا يضارعه مضارع ولا يستوى معه فى طبقة يرتفع إليها سواه فهو شيخ الزجل بلا منازع - والبقية الباقية من الصدر الذى ارتفع أفراده بهذا الفن إلى الذروة فجعلوا منه فنا وكان صناعة لا حياة فيها - ولو أنى ذهبت أضرب الأمثال على اقتداره وجئت من كل معنىً بالقليل لما وسع ذلك سفر كامل ولا دفاتر معدودة ويكفى فى هذا الباب أن ليس من أقرانه الآن أحد وليس من زاجل فى العربية إلا مقر له بالفضل ملق إليه عصا السبق معترف له بالزعامة .

وقد عرفت من مطالعة رباعياته الزجلية كثيرا من نقائص الترجمة الشعرية ، فما كان الخيام رجلا مضطرب العقل يورد القضايا ثم يدعها مرسلة بلا نتيجة وإلا لما استحق ذلك التكريم ولما عاش ذكره تلك القرون الطوال - والذين قرأوا الترجمات الشعرية لرباعيات الخيام يرون أنه

أثار قضايا كثيرة ليس لها جواب فى الرباعيات - كسر الوجود ومسائل البعث والنشور التى أطال فيها الحديث دون أن يدلى فيها برأى.

ولكن مظلوما لم يفعل كما فعل أولئك الشعراء فهو قد فهم الخيام تمام الفهم فكأنما عاش فى زمانه وعاشره - ولابس ظروفه ولذلك لم يدع هذه القضايا مطلقة بلا نتائج، وإنما اقتحم المعانى التى أحجم الشعراء عن إيرادها مخافة الانزلاق فكان بذلك حقيقا بالتقدير والإعجاب - جديرا بالتنويه والإكبار.

يقول مظلوم على لسان الخيام.

دنيا فانيه إسمها دار الرحيل ... للضيوف اللى احنا منهم والنزيل
بعد ماغابوا الملوك عاوز دليل؟ ... والأسد فى حكمها زى الغزال

فى انتظار الداعى إن مولاه أمر

وليس بعد هذا التعبير توضيح للمعنى الذى أراد الخيام تقريره وهو أن هذه الدنيا ليست دار إقامة وأن الناس فيها ليسوا إلا ضيوفاً إلى حين وأن الجميع خاضعون للقضاء لا امتياز لكبير على صغير ولا تفوق لقوىّ على ضعيف:

وفى هذا المعنى يقول أيضاً:

الكريم الشهم فى الناس والبخيل ... دَه ودَه تحت التُّراب ميت نزيل
الحقير فى الموت هناك زى الجليل ... لا اعتزاز بالجاه ولا ممتاز بحال

من ربيعه تكون قبيلته أو مضر

وإذا نحن تركنا هـذا المعنى وانتقلنا إلى معنى آخر وهو الذى فات الجميع إدراكه وذلك حيث يقول :

خلّى أهل العلم فى الدين والحوار فى جدالهم يقطعوا الليل والنهار
والنتيجه نخوض بحار من غير قرار بعدها الموت راح يجى يهدم آمال
فيه نهوض من بعد ما يُطوى الأثر ؟

وجدنا أن النظرة الأولى تترك فى نفس القارىء أثراً من الشك فى اعتقاد الخيام بالبعث والنشور ـ لأنه هنا إنما يتعجب من النهضة بعد انطواء الأثر الظاهر ولكن أيضاً؟ هذه النقطة واردة فى قوله :

قمت للكاس أسأله فى علتى لما تاه منى صوابى وفكرتى
قال لى بدل سكرتك من سكرتى اطرح الأفكار وخدمنى بدال
قبل ماتعود بعد أيامك خبر

كاس قديم العهد عاش منذ الأزل أصله من طينة جميل يهوى الغزل
لما اقَبَّلْ شِفَتُّه يرد القبل أشتكى له يشتكى بأفصح مقال
كان حبيب عاشق وله قلب انفطر

واضح إذن من هذا القول أنه يعتقد أن هذه الجسوم إنما هى غلاف ظاهرى لا يعول على صورته ولكنه لم ينكر البعث إطلاقا وليس فيما روى عنه إنكار صريح للبعث ـ والمعروف أن خلافا كبيراً واقع بين العلماء على هذه المسألة وهل يكون العذاب والنعيم للأرواح وحدها أو للأرواح والأجساد معاً ؟ وهناك اعتراضات وأقوال كثيرة ليس هنا محل الخوض فيها ولكن الثابت أن الخيام لم ينكر البعث إطلاقا وهذا المستفاد من ترجمة مظلوم للرباعيات فى لغة الزجل .

وهناك شيء آخر نحب أن نورده هنا للدلالة على أنه إنما كان يطرح عن نفسه أثقال البحث فى شيء عرف غايته فهو مؤمن وكنى ولا محل بعد ذلك لاشتغال ببحث . وذلك حيث يقول :

هو كل العمر أعوام مع شهور
نقطعه فى بحث ما بعد النشور
واكتشاف السر فى جوف البحور
مين يشوف خلف الستار والروايه فصول كتار
واحنا فى المسرح جميعنا ممثلين

بل إنه ليذهب إلى أبعد من هذا فى توضيح غايته من هذا المبحث حتى لتراه يصرح بأنه ليس للمرء أن يشغل نفسه عما يسّر له بتقصى أشياء ومسائل لن يصل إلى غايتها وأنه إنما يحسن به أن يركن إلى القدر مشتغلا بنفسه عما سوف يأتى به الغيب فيقول :

القلوب دايماً تشوف مافى القلوب
فى العيون مفتاح دليل كشف الغيوب
نيتك مطيتك وقت الخطوب
اركب النيه وحاذر سخط علاّم السراير
والتوكل فيه نجاح المخلصين

وحيث يقول أيضاً :

والمقدر أصله فى اللوح بالقلم

نافـــذ الأحكام على كل الأمم
لو بحار الدنيا تصبح لك خدم
مش ح تمحى حرف واحد   أو تغير رقم وارد
بالطبيب و المال و بالنوح و الأنين

لاريب أن قارىء الرباعيات فى زجل مظلوم يستطيع أن يتمشى مع الخيام فى خواطره وأفكاره خطوة نخطوة فى يسر وسهولة لايعتورهما تعقيد ولا تصعيب فهو سهل واضح متين العبارة نخم التركيب وهو بهذا إنما يقطع الألسن التى تتمشدق بأن لغة الزجل هى العامية الصرفه وأنه ليس للزاجل أن يعتمد على الألفاظ العربيه ولو كان الأمر كما يزعم أصحاب هذا الرأى لكانت هذه الرباعيات لاتساوى المداد الذى كتبت به - ولكن مظلوما جعل منها درة فى جبين الأدب الشعبي ونهجاً رفيعاً لأدباء الشعب ينسجون على منواله إن استطاعوا . . . وهيهات . . .

أقول هذا وأنا واثق تمام الوثوق أن مظلوماً لم يقصد شيئاً مما ذهبت إليه على الرغم من أنه حقيقة واضحة ، وإنما الذى لاشك فيه أن هناك توافقا بين الطبيعتين لدى المنشىء والناقل حمل الأخير على أن يصوغ هذه الرباعيات فى لغة الشعب الدارجه وهو يشعر أنه يعبر عن خواطره الخاصة ويترجم عن إحساساته وشعوره وينقل صورة صادقة لأخيلته ومذاهبه فى الحياة .

والدليل على ذلك أن هناك من المعانى مالو لم يرد فى الرباعيات

وقرىء زجلا لما كان إلا لمظلوم لتناسبه وأفكاره ومشاربه وتمشيه مع مذهبه فى صناعة الزجل واحتفاله بما يضمنه إياه من المعانى وذلك مثال قوله :

الجمال منطق فصيح مع كونه ساكت
زى عاشق صان غرامه دموعه باحت
والا زى المسك مستور ريحته فاحت

هو مهجة كل مهجه للنظر والنفس بهجه

مصدر الإيمان ودين فى كل دين

والذين يعرفون مظلوما كما أعرفه ولم يكونوا قرأوا رباعيات الخيام لايمكن أن يصدقوا نسبة هذا المعنى إلا اليه فإنه يكاد ينطق بأن قائله هو مظلوم لاسواه .

وإنى لأكاد أشعر بأن هذا المعنى لا وجود له فى الرباعيات كما يقدمه هو فى ترجمته الزجليه لفرط ما أضفى عليه من روحه القويه واتجاهه المأثور فى الإحساس بالجمال ونسبة الإيمان الى قوة الشعور به .

وبعد . . فلقد عرفت مظلوما وبلوته فى جميع حالاته وقرأت له وأحببت صناعة الزجل من أجله وإنى لأجدنى كل يوم أشد حباً لهذا مما سبقه كلما قرأت له شيئاً جديدا . وإنى لأشعر أنه إنما يقتطع أزجاله من ذات نفسه ، ويقدم مقطوعاتها من حبة فؤاده لعظم ماتتمثل شخصيته فى نظمه حتى لتكاد تسمع قطعة له من سواه فتنسبها إليه دون أن تعرف بالرواية أنها له .

كنت أعرف أنه أقدر أهل زمانه على ابتـداع المعانى وصياغتها زجلا لا يتسامى إلى مرتبتـه زاجل من أهل العصر ولـكنى أعرف أيضا أن للطاقة حدوداً ، وللمقدرة الذاتية حدودا ، ولم يكن يدخل فى حسابى أن زاجلا مهما يؤت من القدرة والطبع : بل ومن العبقرية مايحمله على الطمع فى نسج هذه الرباعيات زجلا . .

لم أكن أعتقد أن هذا قد يقع، ولو قيل لى ماصدقته ، ولكن مظلوما جعل من هذه الخرافة الحلوة حقيقة ملموسة ، فانقطع عنى أياما ثم عاد وفى يده كراسة فيها النشيد الأول : فتلوته فـكدت أطير إعجابا وطربا ، وأحسست حينذاك بما لله تعالى من فضل على العباد ، وبما يمكن أن يهبهم إياه من روحه ، ويسبغه عليهم من جمال الفن ، ويمنحهم من القدرة على تذوقه والإحساس به — وما تركته بعد ذلك حتى عرفت أنه سيتم الرباعيات .

وها هى ذى الرباعيات قد تمت زجلا قويا رائعا بسيطا : تألفه الخاصـة ، وتعجب به العـامة — وقد فزت بأن تـكون لى حظوة تقـديمها ، وهأنذا أقدمها وأنا أتضاءل خجلا من فرط شـعورى بالتقصير فى تقـديم الرباعيات وتقديم مترجمها إلى لغة الأدب الشعبى وهو صديقى حسين مظلوم ، الذى أرجو أن تحظى المـكتبة العربية بكثير من أمثال هذه الرباعيات قوة وفنا ، بما أعلم أنه كتبه ولم ينشره وما أعرف أنه يستطيع صنعه ، فيكون آية الفن المصرى ، وحجة الأدب الشعبى ؟

مصطفى محمد الصباحى

رسالة الزجل

الادب الشعبي هو لغة الوجدان والعاطفة ، بعيد عن التكليف والتعمل ، وأسلوبه على سهولته حافل بصنوف المناجاة في شتى النواحي – شعر دخلت عليه لغة القوم المتداولة ، فهو الأدب المتواضع ، وليس كما يعتقد بعض قصيري النظر من أنه شعر فكهي يقف عند نظم الفكاهات ونحوها – ولا أدل على هذا أكثر من أدائه لمثل هذا الشعر الفلسفي في هذه الرسالة الموجزة للفيلسوف العالمي – عمر الخيام – وقد تناولت رباعياته أقلام جهابذة بلغات متباينة ، وأزجى بنا إلى هذا تقديرنا للرباعيات الخالدة وما حوت من طرائف ممتعة ومآثر رائعة ، والإخلاص للزجل المحبب إلى النفوس والأذهان ، إذا ما سمت أرواح قائليه . جعلني هذا أنحو نحو أولئك السادة من السابقين ، فأخرج الرباعيات في لغة الأدب الشعبي وهو سلوك ربما يراه البعض غير مألوف ، والناس أعداء ماجهلوا ؛ إذ يسوءنا ويسوء رجال العروبة والمجتمع أن يروا الانحلال الشائن والتردي المقيت الذي صار إليه بعض المشتغلين بهذا الفن الرقيق ؛ حتى لم نعد نسمع إلا أغاني رخيصة ، ومواويل مبتذلة ، ومنلوجات سقيمة الوضع ، وشر الأدواء ماقلب فيه الأمر وحيد عن الجادة والصواب ، فليس الأدب الشعبي ما نرى ونسمع ممن لا يفقهون الأوليات ولا يفهمون من أمور الحياة شيئاً ، وهم يتعلقون بالألقاب والمظاهر ، وقد هجروا صناعاتهم التي

يتعيشون منها ليقولوا كلاما ماعرفه الأدب. ولا يمت للزجل أو الشعر بسبب. . وما جروا فى هذا السبيل ، وزجوا بأنفسهم فى هذا المضمار بين الطبقات النائية عنهم لبعد البون وسعة الشقة بين الجهالة واليقين إلا طمعاً فيما ليسوا أهلا له من مظهر أو لقب ؛ ثم إذا ود أحدهم مغنما أو شهرة سولت له نفسه تسويد مطلق وريقات يضع عليها اسم مؤلف أو ديوان ثم يملى عليه غروره إرغام من عرفهم من المشتغلين بالكتابة فى أية ناحيـة على استكتـابهم تقاريظ تروقه هو يحـدد نقطها ويمليها عليهم . فإذا أبت نفس الكاتب وكرامتـه أن يساق لتزكية الجهل وإقرار الزلل جوزى بالتهديد والتجريح وحوك المكائد والدسائس ، ومن أولاء من تقدم إلى بمثل هذا الطلب فرفضت ، وكان من تهديده لى أنه لن يرثينى إذا مت ؛ فكان هذا عندى من أطرف ألوان الإغراء على التشبث بالرفض .

ونسوق هذا القول تدليلا على تطور الأيام لإظهار الفارق بين الأمس واليوم فقد كان للزجل أعلام خالدون نذكر منهم أصحاب الفضيلة والسعادة والعزه الأساتذه الفحام والنديم والنجار من علماء الدين - ومحمد صدقى باشا . وحفنى ناصف بك . ومصطفى نجيب بك. أعلام الأدب العربى وإمام العبد وخليـل نظير وهؤلاء جميعاً من صفوة الكتاب والشعراء الذين فازوا بأوفر قسط ثقافى بالأزهر والمعاهد العاليه والحياة - ولقد كان الواحد منهم إذا أفعم ذهنه بمعضلات المسائل وجد فى الزجل خـير سلوان مرفه عن نفسه وهو بلا شك يؤدى رسالته للمجتمع على أكمل وجه وفى أروع صورة نثراً وشعراً

وزجلا كما يملك الرد على نقاده ومعارضيه بالحجة الدامغة والبرهان القويم وإنه ليقبل النقد والتصحيح بصـــدر رحب دلالة على قوته الروحية وتتبعه للمثل العليا إذ لايرهب النقد إلا الضعيف الواهن يرجف للاشيء ويتخوف من أتفه الأشياء وأجمل مانذكره تقديرهم مواقف وكفاية مناظريهم شأن من ينشد الحقيقة والصالح العام .

ونحن الآن فى عصر ارتقت فيه النهضـــة القلميه من التحرير والتصنيف والشعر والزجل إلى الغاية التى كنا ننشدها على أن الحالة على عكس ماكانت عليه لتبدل الأغراض وتطور الأفكار وتباين الأجواء فأضحينا لانرى الخلاف إلا مكابرة وعناداً حباً فى الشهرة فحسب ولو أن المقصد هو التعبير عن أى معنى من المعانى بأى لغة لكان هذا أخلد التقدير وأسمى المكانة ولأمكن لكل منا أن يحتفظ لغيره بمنزلته ومجهوده بقدر معلوماته واستعداده لأداء رسالته على الصورة التى وفق إليها فيكون النهوض واطراد التقدم - ولكنا نلمس خلافات قائمة بين كل هيئة كاتبة تمت للتحرير بآصرة بحيث يصل الخلاف إلى حد الاستهجان والاستخفاف بما لاداعى للإفاضة فيه وإنما نعنى فى هذه العجالة بما أصاب ناحيتنا وما وضع دون نهضتها من العقبات والشوائك لأن فن الزجل اليوم وهو يؤدى رسالة الأغانى وما دونها من لغة المنلوجات والروايات الشعبيه فى التمثيل الفكهى ومسارحه فإن أغلب المشتغلين به الآن من العوام وأصحاب الحرف والعمال لم يتزودوا من الثقافة بشيء ماعدا أشخاص لايزيدون على عدد أصابع اليد الواحده وأولاء الأخيرون ينفرون كل النفور من الفريق الأول

أما طبقة الكتاب والشعراء فهم يعملون لاضعاف هذا الفن لاحتراف العمال إياه ويبرّرُون محاربتهم له بمزاعم كثيرة كقول بعضهم إنه عقبة فى سبيل لغة الضاد الواجب تعويد الأحداث على إجادة فهمها وسعة دراستها واستذكارها ـ وآخر يقول بأنه يجب توحيد لغة الكتابة والكلام لئلا يتشعب الطريق أمام المبتدئين فيوهن قواهم العقليه لتشتت أذهانهم واستحسانهم هذا الفن تفاديا من التكلف فى الصفحى من دراسة وغيرها زمناً ربما يعقبها نسيان تام لانصرافه للشعر الملحون الذى لايتقيد بالقواعد والضوابط وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وبهـذا يعزّزُونَ حُجتهم بضرورة قصر الأغانى والتمثيل والأناشيد على الفصحى ليعتاد الشعب الكلام والتحدث بالفصحى دفعة واحدة وهذا جميل جداً وأمل ليته يتحقق وهيهات .

على أن أصحاب هذا الرأى أنفسهم يتحدّثون بنفس أسلوب الأدب الشعبى وإن كانوا من أعضاء المجمع اللغوى المشرف على اللغة وواضع مستحدثاتها ونحن مازلنا نرجو جميعاً تحقيق هذا الحلم اللذيذ حينما نرى كافة طبقات الشعب حريصة على قوميتها من الفلاح الصغير إلى الوزير الكبير يتفاهمون بلسان واحد عربى فصيح وليس أحب إلى نفوسنا من لغة القرآن الكريم ويكون حينئذ ـ رزقنا على الله :

إنه خيال جميل وهو أشبه بقول الخيام فى هذه الرباعيات .

لهف قلبى ياترى يعود الشباب والزمان اللى مضى
مع أحبانا اللى غابوا فى التراب والا كان حلم انقضى
ولن يعود الشباب ولا أحباؤه ولكن هى ياترى وكنى

على أنى أقرر هنا والواقع الملموس يؤيدنى فى هذا الرأى أن الزجل لايمكن أن يتضاءل أمام هذه الحرب المضطرب بخفة أسلوبه ورشاقة تعبيره فى ألفاظه واجتماع الشعب حول أغانيه ونواحيها ثم هو لا يتعارض مع الفصحى مطلقا بل بالعكس هو الدعامة التى تقوم عليها والدرج الأول للمبتدئين وهذه وزارة العلم تتخير للأحداث مايسهل فهمه عليهم ثم تأخذ فى التدرج معهم فى مدارج الانتقال للنهاية لأن الأحداث لا يفهمون فى أول التحاقهم بدور التعليم لغة أمثال مهيار الديلمى والمتنبى ولا لغة الجاحظ وابن المقفّع فى تلك الأساليب القوية الرصينه وذلك الأعجاز فتكليفهم بأخذ هذا الأسلوب فى البداية هو العنت والتعجيز ، بكل مافيهما من معنى وما كان لمطرب العوام فى الأحياء البلديه أن (يغنيهم يابو القوام السمكرى) إلا لأنه لايفهم السمهرى وقد أعجب باللحن فغناه كما يفهمه ـ وسمعنا آخر من مطربى العوام أيضاً يغنيهم الموشحة القديمة المعروفه بهذا المسخ ـ (والذى أسكر من عرص اللمى) وما كان لهذه الطبقة أن تفهم — عرف اللمى .

وإعجاب أمراء البيان مثل المغفور لهما إسماعيل صبرى باشا وأحمد شوقى بك بالزجل جعلهما ينظمان سلسلة من الأغانى الشعبيه فيها أدق المعانى وهو اعتراف بمكانة هذا الفن بين كافة طبقات الشعب .

على أن هناك أسباباً أخر؛ إذ نرى أن الخلاف قائم بين المشتغلين بالزجل أنفسهم ممن هم فى كل ناحية وبكل جمعية أو صحيفة ومسرح ، وعند المطربين والمطربات يستعطفونهم بشتى الشفعاء والوسطاء لنشر

وإذاعة مايطرونهم به فى كل آن مما نقرأ ونسمع ، وكل منهم يخدع نفسه ، ويظن أنه قد بلغ نهاية الكمال ؛ بحيث يرغم السامع على الاعتراف له ويطرى نفسه بالأولوية والتفوق على غيره ، وإن كان لم يتخط الدور الأول للمبتدئ ، وأغلبهم يحلق خياله فى دائرة محدودة وأفق ضيق ؛ فتشاهد صوراً متقاربة لكثير منهم مزدوجة بالنقص والتشويه لما جبلوا عليه من غرور وقصور نظر ؛ فيضع النكتة فى غير مقامها ويتخير وزناً وقافية تتعارضان وموضوعه الذى يفاخر به ، وتتنافيان والذوق السليم ، ومن سقم الذوق وفساد الاختيار أن يدخل كلمات عامية ؛ ثقيلة على السمع ؛ نابية عن الذهن ، بعيدة عن أداء الغرض المنشود ؛ فيخرج موضوعه مشوهاً مبتورا ، لا يصلح للهزل ولا للجد لبعده وخلوه من كل ميزات الخبرة والكياسة ، وبهذا تكون الجناية على الفن وأهله وعلى نفسه أيضا .

لجنايته على الفن إذا بلغ الشهرة عن طريق هذا السخف ، فيقال : هذا هو الزاجل وهذا نهاية ما يتطاول إليه الزجل ، وهو دائب المسعى وراء الشهرة يلح فى طلب التقاريظ والاعتراف له بالإجادة نثراً وشعراً وزجلا ، وتبلغ ببعضهم الصفاقة حد التهديد بالخصومة إذا لم يأخذ الصورة التى يمليها وهكذا ، وللجمهور حينئذ العذر فى أن يحكم على هذا الفن بما يراه ويسمعه مادام هذا شأن محترفيه فى نظر العلم والمجتمع — أماعن السرقات وسرعة النقل والمحاكاة والتكالب جريا وراء فكرة واحدة وتهافتاً على الشهرة، فحدث ولا حرج، بحيث ترى الواحد من هؤلاء ليس له فكرة خاصة من وحى خياله إطلاقا ؛ بل

يتعقب غيره فى أى موضوع يصل إليه عن طريق الصحف أو الرواية عنه وهنا يتجدد نشاطه وما أسرعه فى اختلاس الموضوع أو الفكرة يخرجها فى صورة مقلوبة ممسوخة مظلمة تنفق وكساد ذهنه وركود خياله وهو شر الجنايات على الفن والجمهور .

فأما جنايته على نفسه ففيما نلمسه من حالة أولئك العمال بعد انصرافهم عن مهنهم وما يبدو عليهم من سوء الحال وشظف العيش ولبعضهم مهن موروثة عن آبائهم وأسلافهم، وكانت تدر عليهم الرزق الحلال والعيش الرغيد ينعمون بالحياة الهادئة المطمئنة بين أوساطهم وذويهم ؛ فأنكروا نعمة بطروا بها ، وخرجوا لحياة رقيقة الحال ضعيفة الموارد ، وصرنا نسمع منهم أنين الثكالى ، وترداد النقمة على الحياة لما يعانونه من متاعب وآلام البؤس مما لايحس به المريض فى محنته ، والغريب فى غربته ، وقد هجر عمله وأوصد باب رزقه بيده حباً فى الزجل ، ومنهم : النجار ، والحلاق ، والطاهى ، والميكانيكى ، فقد كانوا يحيون حياة سعيدة كآبائهم يفيدون المجتمع ويستفيدون ، وهم اليوم عطلوا شبابهم ومواهبهم وصناعاتهم التى خلقوا لاستثمارها وغيروا مجرى حياتهم ، وضحوا بمستقبلهم بغية لقب الأستاذ ، بحيث يبغض كلمة الأسطى ، ولا يغتفر لك أن تسأله عن عمله قبل أن يهيم بالزجل. فهو أشبه بمفتون النظارة يعجب بلمعانها وروعتها فيضعها حائلا قويا بالعينين سليمتين يصادر قوتهما ويحجب ضوءهما ويتعرض لأخطار الطريق بسبب النظارة ثم لا يدعها حتى تذهب ببصره ، ويظل يتظاهر بالعمى حتى يصبح حقيقة حبا فى المظهر الكاذب ، وأى مورد للزجل،

ومتى كان عملا يكفل مطالب الحياة على تشعب رغباتها و تعدد حاجاتها لكن الحرص كله على إحراز لقب الأستذة مهما كان غالى الثمن ؛ فادح التكليف . ويبلغ به الغرور أن يظن نفسه جديراً بانتقاد الشعراء والعلماء والكتاب جديراً بإكبارهم وإجلالهم والإذعان لرأيه ، وعلة شقاء المخدوعين وسر تعاستهم هو الظهور بما لم يخلقوا له وهؤلاء من المنكوبين بعد أن فقدوا أوساطهم لاحتقارهم لها ولأهلها وجدوا سداً منيعا يحول بينهم وبين الطبقات المثقفة لاحتقار هؤلاء لهم أيضا لبعد الفارق ، وللفكرة الجديدة التى يضاعفها أصحاب الرأى فى محاربة فن الزجل للمزاعم التى أسلفنا ذكرها ،وإذن يكونون قد عطلوا دولاب العمل وفقدوا صناعاتهم وأوساطهم ومستقبلهم وكان هراؤهم مبررا لذم هذا الفن والعمل على محوه إذ تتضافر الصحف والإذاعة والاغانى على نشر وإذاعة هذا اللون المبتذل المتداول ، وهى فكرة كفيلة بتشويه هذا الفن وكفى .

أليس من أعجب العجب عند ما أثبت البحث الطبى أن سبب انتشار التيفوس هو إهمال آفة القمل فيعمد قلم نشر الدعوة الصحية للإرشاد وتحذير الجمهور من إهمالها عن طريق الزجل فلسمع من مكرفون سيارة الصحة مقطوعة لاأعرف ناظمها ولكن سمعتها مراراً وهى — فلفل وفلفلة والقملة القاتلة — اسمح لى أن اعترف لك أنى لا أفهم العلاقة بين الفلفل والفلفلة والقملة القاتلة وكيف أقر المشرفون على نشر الدعوة الصحية هذه المقطوعة وهم فى مقام التحذير والإرشاد اللهم إلا لأنهم يعتقدون أن الجمهور سخيف لهذا الحد

لا يفهم الإرشاد إلا بالسخف والاستهتار به أو يكون السبب الآخر هو سوء الاختيار أو التأثر بالوسطاء وأرباب الشفاعات وفى كل هذه الحالات لا أرى مبرراً للإعجاب بهذا الرص وهذه الغثاثة .

وفيما سلف أسست أندية متنوعة لتهذيب هذه الناحية وإصلاحها وولانى إخوانى أساتذة هذا الفن شرف رئاستها ولكن وياللأسف كان مصيرها الزوال بسبب اشتراك طبقة تعمل فى الخفاء لتفريق كل جمع وتقويض كل وفاق فلسنا فى عهد النقد والاعتراف بقيمته إنما نحن فى عهد المكابرة والعناد فأزعجتنى الخصومات الدائمة بين كل صديقين وما أقرب وأفحش الهجاء والطعن لأتفه الأشياء وكنت بينهم كناظر الوقف مطالب بحقوق المستحقين مكلف بتقاريظ ومقدمات لمجموعات من النوع الذى نوهت عنه وهنا مايثير الضحك والدهش معا إذ رأى بعض هؤلاء السادة أن يؤسس ناديا لرهطه وأتباعه وراق له اسم (نادى حماة فن الزجل) الذى كان يجمعنا فجعله عنوانا لناديه الجديد فطالبته بتغيير هذا الاسم حتى لا يكون لبس أو اشتباه على أحد فمكث يبحث عن اسم جديد ويكد الذهن حتى اهتدى لاسم — عصبة الأمم — فكان من أثر إعجابه به أن أطلق على ناديه اسم — عصبة الزجل — وهذا الاختيار وحده كفيل باظهار مبلغ حصافته ونضوج تفكيره .

ولقد سئمت هذه الأجواء فاعتذرت لزملائى عن قبول رئاسة النادى وأويت لناحية نائية عن الأندية والمجتمعات واشتغلت بنظم سيرة إمام الشهداء سيدى أبى عبد الله الحسين بن على رضى الله عنهما على مافيها من تشعب السبل ومتنوع الروايات فى أكثر المراجع

وعاونني في هذا البحث الجليل صديقي الوفي الأستاذ عبد العظيم طاهر الشهابي ولما أتممتها أخذت في دراسة رباعيات الفيلسوف الفارسي عمر الخيام في نسخ شتى وطبعات متعددة عدا نسخة عن الإنجليزية وراجعت تراجم الصراف والبستاني والسباعي ورامي وكلها تنم عن جلال الحسن وقوة الروعة والإبداع على أني آثرت ترجمة السباعي والبستاني فقد رأيت من الفوارق والتباين الشاسع بين التراجم الحديثة ما أذهلني وترجمة البستاني قريبة من السباعي لولا اختلاف في الكلام جعل أول الأولى في وسط الثانية أوآخرها لتطابقتا وهذا فحسب فارق في الاختيار بين الترجمة والتبويب .

على أني مهما أفضت الحديث لا أقول جديدا عن الخيام وقد وفى الأساتذة الأفاضل كامل كيلاني ورمزي نظيم ومصطفى الصباحي الكلام عنه فما تركوا مجالا لقائل أو مستزيد وغمرني فيض كرمهم بالتحدث عني على أن الخيام خالد معروف ليس بحاجة جديدة غير المتداول عنه من عشرات التراجم إنما أردت إخراج رباعياته في ثوب أخضر جديد ، ولغة سهلة لم أنحدر بها إلى لغة العامة ، بل جعلتها وسطا بين الفصحى العالية والشعبية الدارجة ، واقتفيت أثر السباعي وسايرته في أغلب ترجمته إثر الرجوع للبستاني عدا القليل منها ، وحرصت على النقل والمقابلة بقدر مايسع الجهد أداء للأمانة — وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

مظلوم

لمحة عن عمر الخيام

هو عمر بن ابراهيم الخيام الفيلسوف الشاعر الفلكى الفارسى كان إمام عصره فى الشعر والفلك والجبر والأخلاق — وكتبه تعد الطراز الأول فى كافة نواحيها وتقويمه فاق ما عداه قوة ودقة وإحكاما بين مؤلفى عصره الرياضيين .

وقد استدعاه السلطان ملكشاه ضمن من انتدبوا لتعديل التقويم السنوى فأظهر من الحذق والبراعة ما جعله موضع الإعجاب والإكبار وأعجب به المؤرخ الانجليزى الكبير جيبون — الذى يقول عن تقويمه — إنه يفوق التقويم الجريجورى نظاما ودقة — وما زال تقويمه معمولا به فى الفرس وغيرها وهو مرجع هام لدى كافة من يعنون بالعلوم الفلكية .

أما مؤلفاته فى علم الزيجة والأرواح ومصنفاته الطولى التاريخية خاصة فيما اتصل بالعصر السلجوقى الذى يبدأ سنة ١٠٧٩ م — فدليل على سعة اطلاعه وغزارة مادته وسوى هذا من العلوم والفنون له آيات بينات لو أنها بقيت ونجت من الإتلاف والنهب والإحراق لكانت خير أنموذج للباحثين المسترشدين .

أما شاعريته فإنى أتخيل الخيام روحا بلا جسم تتصل بالأرواح وتتغلغل فى القلوب حيوية شعور وقوة وجدان، وهذه المسائل والقضايا التى أثارها تصرف القارئ عن كل ما عداها وتشغله كل قضية بما فيها

كأنه يسائل نفسه بها ويطالبها بالإجابة عليها، وربما كانت هذه الرباعيات قبل أن ينال منها الإتلاف تتجاوز المئين، ونراها لدى البعض عشرات ولدى سواهم تجاوز المائة أو الأربعمائة — ومع هذا الإقلال والإكثار، ومع ما ابتكره المترجمون فيها من تصرف نرى روح الخيام مهيمنة على الجميع بجلالها وبعيد أثرها فى النفوس، والأرواح الصافية التى تنشد الخلد والسمو، وأجل من نقلها إلى اللغة الأوربية العلامة (فيتزجرالد) فى نحو خمسمائة بيت، وفى كل ناحية منها تتمثل الخيام عطوفا على الفقراء، شفيقا بالبائسين، تواقا للجمال، وفى تقدير الجمال أجل عبادة للخالق المبدع، فمن يتصور هذا الإبداع ويهيم به إنما هو صادق الإيمان قوى العقيدة، وينتقل من وصف الجمال فنراه يتكلم فى البقاء وما يعقبه من فناء وصيرورة الأجسام إلى عظام متحللة، إلى تراب يملأ الغبراء، فكأنا لا نسير إلا على أديم العباد مما يحفز النفوس لعرفان بارئها، والإحسان إلى عارفيها، والوفاء بالعهد وللذكريات التى تعد أخلد الآجال وأحسن ما يذكر ويدخر.

ولد عمر الخيام بمدينة نيسابور الزاهرة سنة ٤٣٣ هجريه — ١٠٤٠ ميلادية، فلما شب وانتهى دور الطفولة، وبدأ فى تلقى العلم، انتظم فى سلك تلامذة الإمام الموفق النيسابورى، الذى كان من صفوة العلماء، والمعتقد فيه أن من حضر عليه ظفر بكل ما تتوق إليه نفسه وتصبو لإدراكه، وهنا امتزجت حياته فى كل أدوارها، واتصلت سيرته بسيرة زميلين عظيمين فى طلب العلم على الامام الجليل، أحدهما نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان نجل طغرل بك التترى، الذى انتزع ملك فارس

من خليفة السلطان محمود الأكبر مؤسس الدولة السلجوقية .

وثانى الزميلين الحسن الصباح، وكان أبوه ناسكا ورعا، ولكن الحسن كان زنديقا مارقاً - واختلى الحسن يوما بعمر الخيام فقال له قد اتفق الناس قاطبة أن ليس من تلميذ يتخرج على الإمام الموفق إلا أصاب عزاً وإقبالا وثروة وجاهاً - فهب أن ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة فإنه لابد أن يكون لواحد منا، فماذا يكون حظ الاثنين الخائبين على ذلك الظافر ؟ قال عمر اقترح ماتشاء إذا تم اجتماعنا وحضر نظام الملك - وكان نظام الملك معهما فى اليوم التالى، فقال الحسن نتعاهد الآن على أنه من أصاب منا الثراء فعليه أن يقسمه فيما بيننا نحن الثلاثة على السواء، لا يؤثر نفسه بشىء دون أخويه. قالوا جميعاً ليكن ذلك. ثم تحالفوا وتعاهدوا. وقد مرت الأعوام على ذلك وكان من حظ نظام الملك أن تقلد منصب الوزارة فى سلطنة السلطان ألب أرسلان ثم عرف ذلك صاحباه فأتياه يطلبان إنجاز الوعد القديم، وبر الوزير بوعده - وكان عمر غير طامع فى رتبة أو منصب فخاطب الوزير بقوله :

لست أبغى لديك أكثر من أن تدعنى أتفيأ طرفا من ظلال نعمتك الفيحاء - لأنشر ضياء العلم وأدعو لك بدوام العز والسؤدد وطول البقاء - فأجابه الوزير إلى طلبه، وأجرى عليه رزقا قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب فى العام ، تصرف له من خزينة نيسابور .

والتمس الحسن بن الصباح منصبا فى السلطنة فسعى نظام الملك لدى السلطان فمنحه طلبته ولكن الحسن كره ذلك المنصب فغادره ودس نفسه فى بلاط أحد أمراء المشرق ، ثم أخذ يحيك المكائد

والدسائس بصور وألوان تعجز عنها الأبالسة ، يحاول بذلك إسقاط أميره واغتصاب الإمارة منه ، وظل فى نشر الفتنة إلى أن صار زعيم الطائفة المسماة (الإسماعيليه) فى سنة ١٠٩٠ بعد الميلاد استولى على قلعة الموت الواقعة جنوبى بحر القزبين ومن ثم ذاع صيت ابن الصباح وعاد اسمه مبعث الرعب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى حتى سموه - شيخ الجبال - وسميت فرقته (فرقة الحشاشين) نسبة إلى المخدر (الحشيش) الذى كان زعيمهم الحسن يغريهم به ليستولى على عقولهم بتخدير أعصابهم، فيسوقهم لأغراضه الخطرة، ومقاصده المرهوبة، حتى كان من بين ضحايا فتنه ودسائسه العديدة الوزير نظام الملك نفسه صديق حداثته وزميل تلمذته .

أما عمر الخيام فقد عاش ومات بمدينة نيسابور فى طلب العلم على اختلاف فنونه وأبوابه، ولا سيما علم الفلك الذى بلغ فيه الذروة والذؤابه ، وكانت وفاته عام ٥١٧ هجرية ١١٢٣ ميلادية .

زعم فريق من الناس أن عمر الخيام لم يقصد بالخمر - والساقى - والكأس - مما جاء فى رباعياته الخمر المعصورة المعروفة ، وإنما كان يرمز للذات الإلهية بألفاظ الخمر كعمر بن الفارض وحافظ الشيرازى وأهل الصوفية ، لكن المدون المثبوت فى سيرة الخيام ينفى هذا الرأى لأن ابن الفارض يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

والخيام يقول :

إملا من بنت العناقيد العنب واجعل الكاسات لأفراحك سبب

واغسل الأحزان بها وعيش فى طرب لو تقول بكره يكون بكره العزال
تعمل ايه لو أمر مولانا صدر

ظاهر أنه يتعجل الفرصة قبل فواتها ، والفارق واضح بين كلامه وكلام ابن الفارض ، ويقول ابن الفارض أيضا :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

ويقول الخيام :

ابق من فضلك تقول للى نهاك
والنبي تبخل بنصحك وبهداك
الكرم فى الكرم والمولى عماك
عن مواردها الحكيمه صنعة القــدره العظيمه
والعفاف والزهد حيلة العاجزين

واضح إذاً أن خمرة عمر الخيام لم تكن إلا عصير العنب المتهدل من كرومه يعصر سائلا محسوساً مرشوفا من أقداح البلور وقوارير الفضة، يحسوها مع الندمان فى مجالس الشراب ، وفى خلوته ، يدلك على ذلك كلامه فى وضوح وجلاء .

وكان النظامى أحد تلاميذه ، فروى هذه النبذة قال — كنت كثير التحدث إلى أستاذى عمر الخيام فى بعض البساتين ؛ فحدثنى ذات يوم قال : سيكون قبرى إن شاءت الأقدار فى حيث تنثر يد الصبا والشمال على رفاتى جنى الورد والياسمين ، ففكرت حينذاك فيما قال لاعتقادى أنه لا يقول لغواً ولا عبثاً ، واتفق أنى غادرت نيسابور ، ثم عدت

إليها بعد وفاته فما راعني إلا قبر الخيام بجوار بستان أغن ، يانع الجنى ، داني القطوف ، وقد مدت أغصانه ظلالهـــا فوق ذلك الضريح ، ونشرت ذوائبها تنثر عليه النور والزهر والورق النضر ، حتى أخفت آثاره وطمست معالمه .

هذه لمحة وجيزة عن حياة الخيام نوردها للدلالة على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه في علومه ، وحياته حافلة بالجهود القيمة ، والمؤلفات الكبيرة الخالدة لولا ضيق المقام لأوردنا الشيء الكثير منها ، ولذا يجتزيء بهذه الكلمة حتى يتسع الوقت ، وعلى الله قصد السبيل ؟

المجموعة الأولى

كتب تحت الطبع من ديوان

مظلوم

ليالي الصفا ـ أغاني

سيرة إمام الشهداء أبي عبد الله الحسين رضى الله عنه

اجتماعيات ـ فى شئون الحياة العامة

ابن عبد الحي ـ من الاحسان إلى الكفران رواية

نظرات فى الحياة ـ مقطوعات صغيرة

رياض البردة ـ فى مناقب بنى هاشم

فكاهات ـ نقدات ـ موالى

جميع مطبوعاتنا تطلب من مكتبة الطاهر اخوان ـ يافا

النشيد الأول

١٣٥٩هـ ١٩٤٠م

رباعيات الخيام ١

نبّه النائم على فرش الأمل
كم أمل في حلم تفسيره الأجل
فوز بكاس الصفو: ذي الأيام دول
والحياة يومين. سرور يوم وارتحال
بعد كاس الانس، يوم كاس القدر

غرّد الطاير بألحان النديم
في طلوع الشمس بالصوت الرخيم
إملا كاسك، واغتنم صافي النسيم
ذي سنين العمر غايتها زوال
ما ارتفع طير في السما الّا انحدر

إنهب اللذات، وديركاس الشراب
دي السعاده في زهور عصر الشباب
بعد طي العمر يطوينا التراب
في محيط الأرض، في وادي التلال
في مجاهيل الحجاب المنتظر

نبه الخمار نديم وقت الصباح
هات حياة الروح وقوم، دا الفجر لاح
بعدها نودع حبيب ينوي الرواح
انتهت أيامه والأيام آجال
والرحيل في حينه والداعي حضر



رباعيات ٣ الخيام

عادْ لنا النيروز أمل كل النفوس
والبساتين ازدهت وريّا الشموس
والزهور لبست وشاح زي العروس
فيها إيد موسى الكليم طهر وجلال
بيضا من غير سوء صفاء من غير كدر

هل سرتْ روح عيسى مع صبا في النسيم
أحيت الأرض وبدا خيرها العميم
أخرجتْ موتاها من بعد الرميم
غرّد الطير في الوجود ألحانْ وجال
في الغصون صدّاح بلحنه المبتكر

لو مضت آثار إرم ذات العماد
وانتهت من بعد شداد بن عاد
وانكسر إبريق جمشيد لك المراد
في بساتين الكروم الخمر سال
من فواكه فيها سلوى للبشر

أو يكون داود مضى في الغابرين
وانقضت ألحان زعيم المطربين
فيه بداله شادي لحن العاشقين
بلبل الروض يشبهه من غير جدال
كام أنس مهجه وكام ألباب سحر

صُب في الكأس أم كل المطربات
جنّة الدنيا وفردوس الحياة
وادفع الحزن الكمين قبل الممات
واستمع من وحيها السحر الحلال
من أنا شيد الخلود معنى اختتم

غالب الدنيا لحين ما تغلبك
واشرب الكاس، دالتراب راح يشربك
إن خسرت الحظ دهرك يكسبك
خديمين لأنس وفّيه والشمال
في وجودك، قبل إنذار السّفر

قوم بنا نسرق من الدنيا السرور
أحلى أوقات الصفا بين الزهور
والا فى وسط الجبال أو فى البحور
نطلب الرحمه لملوك ماضيه ورجال
زى حاتم فى الكرم جودها اشتهر

نختلى فى ناحيه عن كل الأنام
لجل نبقى اتنين وتالتنا المدام
يا لله نتغنى بألحان الغرام
ساعه من عيش الصفا تحت الظلال
فى الخلا فى العزله فى ظل الشجر

رباعيات الخيام ٧

روح بنا ننزل ضيوف عند الطبيعه
بين زهور الروض وأشكالها البديعه
دى حياتها من حياة الناس وديعه
بعد لحظه تكون لجانيها منال
ورد من بعد الربيع مات وانتثر

خلى عنك دنيا فى حكم السراب
تخدع المغرور بألوان الخضاب
تشتغل ليه باللى تخضع له الرقاب
أو تفكر فى اللى له أملاك ومال
دى السعاده عمر فى الزهد انحصر

طالب الدنيا جعل منها متاعه
واللى ضيّع فرصته استقبل وداعه
واللى طالب أختها خاف من ضياعه
واللى تاه بين الحقيقه والمحال
واللى بين الأولى والتانيه نظر

كام عرايس فى البساتين من زهور
كام تغور للورد أشهى من التغور
كام غصون فى الميل تغير منها الخصور
كام قوام ميّاس بخفّه واعتدال
فيه عيون للنرجسه ، كحل وحور

الكريم الشهم في الناس، والبخيل
ده وده تحت التراب، ميّت نزيل
الحقير في الموت هناك زي الجليل
لا اعتزاز بالجاه، ولا امتياز بمال
من ربيعه تكون قبيلته أو مضر

كلنا عايشين في بستان الأمل
بين رياحين الخيال يمكن لعل
ربما يا ريت عسى يحلى الغزل
للنجوم نشكي الحبيب ويّا الهلال
في أماني الوجد في ليل السهر

الأمل معبود لكل المخلوقات
ابتسامة العيش ومرآة الحياة
إن صدق مره يدوم ويّاك ساعات
كل حال من بعد لحظه تشوفه حال
يوم صفا، يوم حزن، يوم صيف، يوم مطر

دنيا فانيه، إسمها دار الرحيل
للضيوف اللى احنا منهم والنزيل
بعد ما غابوا الملوك عايز دليل
والأسد فى حكمها زى الغزال
فى انتظار الداعى لمن مولاه امر

آدى بهرام صار أسود من كل غاب
أصبحت تلعب على قبره الذئاب
يا ترى لو تسأله يرد الجواب
والملك جمشيد صبح قصره مجال
للسباع من بعد ألحان السمر

كام قصور كانت مطالع للكواكب
كل حاجب فيها، كان له ألف حاجب
عند أعتابها الأوامر والمواكب
بعدما كانت تحج لها الرجال
مأوى للطير الشريد فيها انتشر

عندنا للورد في البستان حنين
ليه ؟ لأنه من خدود العاشقين
تحت أشجاره عرايس مدفونين
استعار من دمها سحر الجمال
من خدود بستانها بالورد ازدهر

وانظر الريحان في ميله والقوام
من قدود كانت لها فتنه وغرام
تبعت الأرواح ريحانها بالسلام
رَوّتُه من دمّها خِفّه ودلال
جه رسول أدّى التحيه واعتذر

لو في يوم مرّيت في صحرة للمدافن
فيها أشجار، أو جداول، أو جناين
إوعى تلعب دي مساكن في مداين
مجمع الأرواح شعوب تحت الرمال
عندها العبرة الصحيح للّي اعتبر

كام نشيّع كل يوم راحل جديد
كام قريب بات في الحمى وأصبح بعيد
كام ميعاد له بدّله بيوم الوعيد
كام حبيب في رحمة الله ذو الجلال
من وداعه غاب ولم يبعت خبر

طالت الاعمار وعشنا بعدهم
فى سرورنا نبكى من طول بعدهم
مهما طال العهد فاكرين عهدهم
والمقيم لابد ما يشد الرحال
والقدر قدامه لم ينفع حذر

إملا من بنت العناقيد العنب
واجعل الكاسات لأفراحك سبب
واغسل الأحزان بها وعيش فى طرب
لو تقول بكره يكون بكره الغزال
تعمل ايه لو أمر مولانا صدر

انتعش واشرب بكاس صفوك وبادر
قبل ما تشرب بكاس ع الكل داير
كل أول نهجه بعدين يبقى آخر
والندم فى حين تفوت ساعة الوصال
والسرور فرصه وهيهات ان هجر

تخطب التانيه واولها خطوب
والصفا تستبدله بما فى الغيوب
كام ملوك فى الدنيا راحت فى حروب
طوحت، كام بعد عاد رمح ونبال
كسرت تيجان وكام كسرى انكسر

كام مشايخ مع قسس حلّوا اجتماع
بالخلافات فى أساليب الدفاع
والبراهين أصبحت رهن الضياع
جدّهم بات هزْل وهداهم ضلال
لمّا خلّى الموت أدلّتهم هذر

خلّى أهل العلم فى الدين والحوار
فى جدالهم يقطعوا الليل والنهار
والنتيجه نخوض بحار من غير قرار
بعدها الموت راح يجى يهدم آمال
فيه نهوض من بعد ما يُطوى الأثر ؟

كام وكام بتنا ف جدل والليل يطول
في مدى الأفكار، وحيرنا العقول
حتى عاد العالم الفاضل جهول
لما خفنا الميل، ميزان العقل مال
نوع يقول واصل ونوع خاف الخطر

وانتهينا بعد ما طال البحث
عند نقطه واحده كانت قصدنا
ليه نجي في الكون ونرجع كلنا
زي ما جينا وقال واحد وقال
غيره إن البحث ضاع كله هدر

باب بغير مفتاح وكيف راح تدخله ؟
واللى يفتح باب ضرورى يقفله
لو سألت القبر فيما يعمله
أو سألت البرق والريح والجبال
عن وجودك تلتقيه سر استتر

مخلوقات ، الكون أبوها وأمها
من تراب الأرض ولاد بطنها
بعد حين ضمت عيالها فحضنها
فى حنان الأم نرجع للمآل
واللى كان فوق سطحها يبات فى حفر

من نفسٍ خارجٍ من الصدْر اندفع
جهْ نفسٍ لم يهتدي خاب وانقطع
والحياة نفسين مادام زادْ وارتفع
يبتدي في النقص من بعد الكمال
زي نقص البدر حين يكمل قمر

قمت للكاس أسأله في علّتي
لمّا تاه منّي صوابي وفكْرتي
قال لي بدّل سكرتك من سكرتي
إطرح الأفكار وخد مني بدال
قبل ما تعود بعد أيامك خبر

كاس قديم العهد عاش منذ الأزل
أصله من طينة جميل يهوى الغزل
لما اقبل شفته يرد القبل
أشتكى له يشتكى بأفصح مقال
كان حبيب عاشق وله قلب انفطر

رحت مره مصنع الفخار زياره
شفت عامل يصنع ابريق له مهاره
انكسر منه سمعته يقول خساره
والتقيت الطينه تستعطف خلال
صدمته وتقول له إرحم من صبر

ليه بني آدم بنا مستهترين
هم نسيوا إنهم من ماء وطين
أصل واحد صنع رب العالمين
طينة الإنسان بقت إبريق مثال
صنع إيد إنسان بتصويره افتخر

يا نديم الكاس ويا ساقي الأحبه
إهدي من كاسك شويه لكل تربه
إنعش المحروم من الأحباب بحبه
روّي قبره بالكاسات من هجر طال
وارحمه بالذكرى في البعد افتكر

وان لقيت ورده وريحانه وفلّه
يشتكوا حر العطش افراد وجمله
جود عليهم يانديم الكاس بقُلّه
دا الكرم دين للكريم حسن الفعال
تلتقيه محفوظ اذا دهرك غدر

واحضن الغصن الرشيق ان أمكنك
قبل ما أم البريّه تحضنك
فى النهايه إنت عارف مسكنك
زارع الأحلام يحصدها وبال
ياما آمال فى التراب تحت الحجر

النشيد الثاني

١٩٤٠ م — ١٣٥٩ هـ

أحلى أيام الصفا فى دور شبابك
تضحك الدنيا ويحلى لك شرابك
دى السعاده يوم وفى التانى ركابك
واللبيب من حكمته فاز بكاسه وبهجته
قبل كاسه التانى فى يوم اليقين

فى اعتقادك ان يوم ما يقولوا مات
تحزن الدنيا وكل الكائنات
أو يكون اضراب لكل الأمهات
عن ولاده نوع جديد من هنا ليوم الوعيد
والبطون تاه فى ولادها العداد

بعد موتنا كام يجي جيل بعد جيل
لو تقول مليون اقول يمكن قليل
يسكنوها وبعدها يشدوا الرحيل
واللي مات من قبلهم لم يجي فى فكرهم
والدولاب شغال ما بين طفل وجنين

كل جيل فات فى تاريخ الدنيا وارد
فى كتاب الدهر للجيل سطر واحد
بعد تسجيل المساوى والمحامد
ينتهى ويصبح تراب يبقى سيره فى كتاب
أو روايه بين أيادى المنصفين

قوم نناجي الدنيا فى وقت السَّحَرْ
نِنْعِش الأرواح ونِسْتجلى الخَبَرْ
عن نجوم من قبْلِنَا نور البشَرْ
الشباب ويّا الكهول والحبيب ويّا العزول
جنب بعض المصلحين والمفسدين

إطرح الأحزان وخليكم اللى راح
اللّى فات مات احنا فى بكره الصّباح
كل يوم تمضى بغير لذّات وراح
يبقى ضاع من عُمْرِنا فيه سرورنا وأنسِنا
قول علينا بالحياة مستهترين

هو كل العمر أعوام مع شهور
نقطعه فى بحث ما بعد النشور
واكتشاف السر فى جوف البحور
مين يشوف خلف الستار والروايه فصول كتار
واحنا فى المسرح جميعنا ممثلين

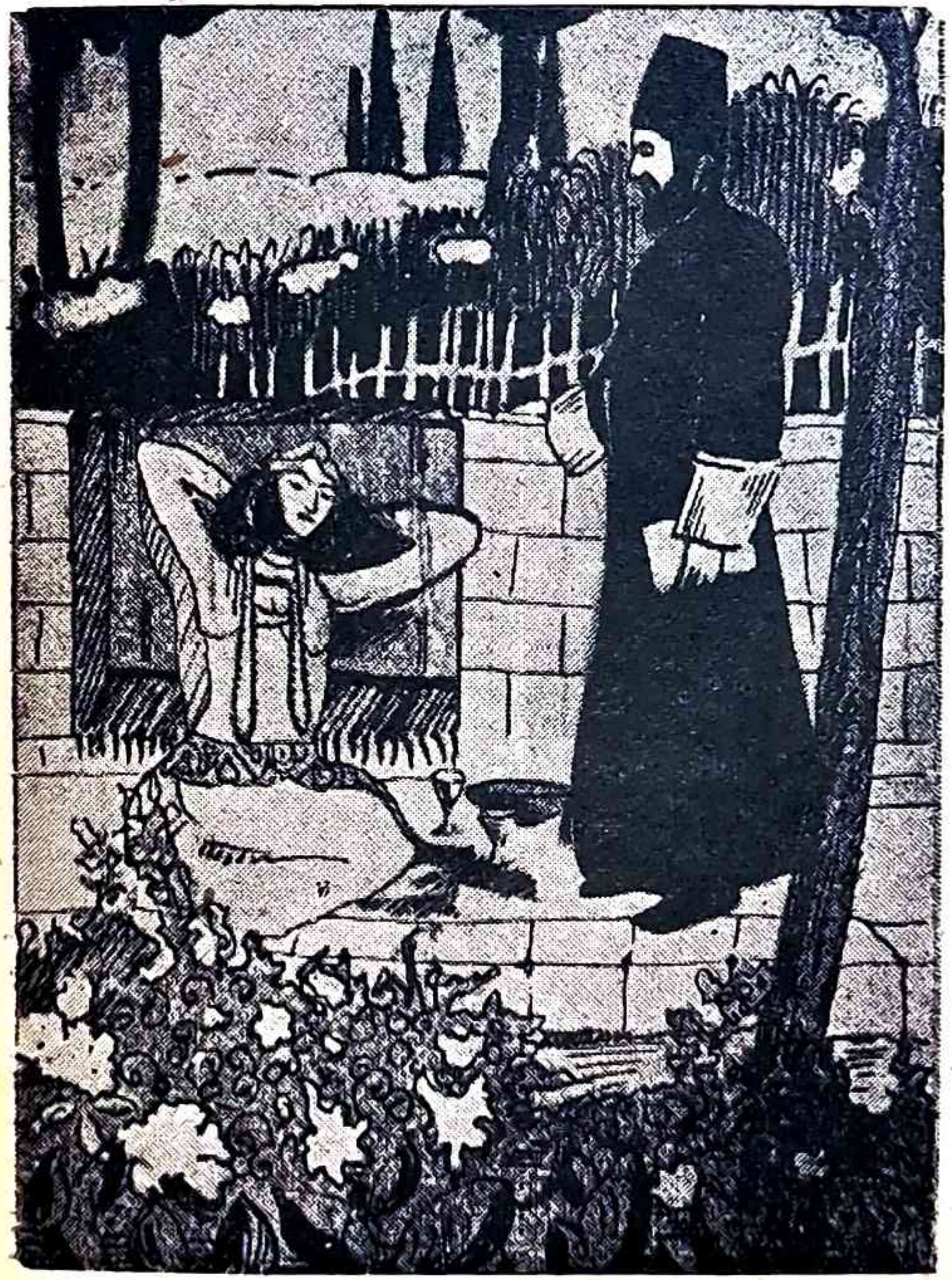
فيه حقيقه بعد شئ سمُّوه حقيقه
واحده تِظهر وهْم والتانيه غَريقه
كام مظاهر يسبك بالتكليف رقيقه
بعد تحقيقها تبان باطْله غطّاها الدهان
كام حقايق تحت أوهام مستورينْ

هى روح واحده فى كل الموجودات
للقدير عمّت جميع المخلوقات
كل مخلوق حي له منها حياة
تنتهى مش للخلود للوجود بالوجود
والمهيمن حيْ رب العالمين

العقول محتاره فى فهم الروايه
سر فى علمه البدايه والنهايه
هو ينشرها ويطويها لغايه
كل دور عمّاله دايْرَه ينتهى تروح بَعْدُه سيره
يخرج المسرح مناظر كل حين

صون حياتك من أساليب الجدال
من علوم البحث من قلنا وقال
كم فقيه يوريك هداية من ضلال
كم بحوث كانت عدم كم نصايح من ندم
والجمال والكاس هدى القلب الحزين

الجمال منطق فصيح مع كونه ساكت
زي عاشق صان غرامه دموعه باحت
والّا زي المسك مستور ريحته فاحت
هو مهجة كل مهجه للنظر والنفس بهجه
مصدر الايمان ودين فى كل دين



أول الشهوه تكون فى النفس غايه
تبقى زى الضيف خفيف عند البدايه
تنقلب حاكم مسيطر فى النهايه
واحتلال فى النفس دايم فى الشعور والجسم حاكم
كام ضيوف باتوا وصبحوا مالكين

والحياة زهره فى بستان العدم
أصلها غرس الإراده فى القدم
لغز سموه الأجل سر القلم
نور جبين حلو الرضاب شعره كان فوقه حجاب
زي ما غطى الأجل نور الجبين

قوم وهنّينى فى أفراحى السّعيده
جوّزونى البكر بنت الحان رشيده
بعدها طلّقت أحلامى البعيده
فى فرح بنت العنب ريقها من شهد وطرب
كام لحضن الكاس لنا وجد وحنين

مين عرف سرّ الوجود والاّ العدم
فى اللّى عايشين واللّى ماتوا من القدم
يحسبوا الرّوح عند تحديد الهمم
هى كوكب نوره ساير مستحيل تعرف له آخر
سر فوق إدراك عقول العارفين

طاف بنا في الليل ملك قال السلام
قلنا مين؟ قال السعاده للأنام
قلنا هاتها قال خدوا كاس المدام
هو فيه غيره سعاده قلنا طالبين الزياده
حين لقيت في الراح حياة المنتجين

إرفع التكليف بها وحل اللسان
من قيود العقل وحدود الميزان
دي البراهين والحجج وحي البيان
بلسم الروح للعليل ملهم القول والدليل
جبتك في كاس من السحر المبين

رباعيات ٣٢ الخيام

سيف من البرهان وله وقت الهجوم
انتصار مشهود على جيش الهموم
كام هزم طايش وكام بدد خصوم
دى سلاح وقت الشدايد للمكافح والمجاهد
أو منادى الفتح والنصر الرهين

إنبقى من فضلك تقول للى نهاك
والنبى تبخل بنصحك وبهداك
الكرم فى الكرم والمولى عماك
عن موارد ها الحكيمه صنعة القدره العظيمه
والعفاف والزهد حيلة العاجزين

رحمة الرحمن تقع ما بين يديك
تبقى شايف نورها وتكدّب عنيك
إعترف بالحمد للمنعِم عليك
نعمته نسيبها نقمه رحمته فوق كل رحمه
سلّم الصاعِد أوا الحبل المتين

مين يقول لك تركها غاية الصواب
أفضل الإحسان فى تخفيف العذاب
أو فى حسن التّعزيه عند المصاب
كون لأمر الإنسانيّة عبد خاضع. دى القضيّة
والضمير الحي لك مخلص أمين

هوَّ غاية نصحهم اهجُرْ شرابَكْ
والتَّنَطُّعْ والجمُودْ منهَاجْ كتابَكْ
دَه ثوابَكْ عندما تنزِلْ ترابَكْ
تبقى تشربْ خمر طاهِرْ   كاس مرصّع بالجواهِرْ
دِي الحياة فى رأيهم للمُهْتدِينْ

لَوْ فَرضْنَا أنْ سكان النعيمْ
نوعْ من الجامِدْ يسمُّوه مستَقِيمْ
والصَّفَا والمغنى والكاسْ فى الجحيمْ
تبقى جنَّه وفيها حَسْرَه   بالدقونْ اهل المكابْرَه
فيه نعيمْ فى جِيرَة المتنَطِّعين؟

فى اللى ماتوا لو بعت واحد خبر
يوصف الموت عند يومنا المنتظر
والا يرجع والا نعرف له أثر
فى طريق كله ظلام فيها ممنوع الكلام
كنا نعرف أيه سبيل الواردين

الحياة تشبه سؤال والموت جوابه
والعجيب فى الروح رضى بعيش فى حجابه
دى مداها الكون بأرضه مع سحابه
فى جسد من طين تدوم والجسد توب الهموم
مش عجيبة ظهر فى هالك دفين

إنظر الأجسام مشابهه للمساكن
مهبط الأرواح لساكن بعد ساكن
ان رحل واحد يعود جسمه ولكن
يبقى منزل ضيف وليد حل فيه ساكن جديد
هكذا معدود لأرواح نازلين

فى ظلام الغيب جعلت الروح منار
لاكتشاف السر من جنه ونار
صرحت باللى اختفى بعد القرار
جنتك حسن العمل والسعير عند الزلل
فى الحساب مقدار أجور العاملين

والغبى مطرودمن الجنّه الحبيبه
دى الحقيقه الأغبيا أرواح غريبه
بس قول لى هى جنّه أو زريبه
ده نعيم الخلد دايم مش لأرواح البهايم
للذّكا والمحسنين والنّابغين

والقلوب دايما تشوف ما فى القلوب
فى العيون مفتاح دليل كشف الغيوب
نيّتك مطيّتك وقت الخطوب
إركب النيّه وحاذر سخط علاّم السّراير
والتوكّل فيه نجاح المخلصين

كلّنا أشباحُ خيالٍ تحت الستائرْ
جوّ حفلة رقص فيها اللّعب دائرْ
والمصابيح ازدهت فيها المناظرْ
تنتهي الحفله تعودْ ليلْ حسب طقسْ الوجودْ
والخيالاتْ تختفي للنّاظرينْ

تحت فصلينْ مسرحْ الليلْ والنّهارْ
طلعوا أطفالْ الحياةْ شبّاب كبارْ
كلّهم نايمينْ بجى سيلْ من بحارْ
والتعيسْ وبّا السعيدْ يصحى للسّفر البعيدْ
يصبح المسرحْ جميعه راحلينْ

عاشوا كل النّاسْ عبيدْ شهوَه وعادَه
كلهم أشباه بغيرْ نقصْ وزيادَه
الّا نوعْ ممتازْ بشئ إسمه الإرادَه
يِنزلْ التاريخْ كتابُه قبل ماينزِلْ ترابُه
ماتْ وحَيْ وغيره أحياء ميّتين

والإرادَه والهوَى دايمًا خصومْ
زَىّ ضدّينْ أَوْ نقيضينْ ع العمومْ
واحده موتْ التانيه يحيبها تدومْ
هُمّ لتنين في صراعْ تحت أسلحة الدفاعْ
واللّى تحيا أُختها فى الهالكين

كل واحد منّا له يوم منتظرْ
لا علاج ينفعْ ولا يمنعْ حذرْ
زى كوره لعبه فى إيدْ القدرْ
هوّ يرميها لغايه تجري توصل للنهايه
تختفى عند الهدفْ فى المختفين

والمقدّرْ أصْلهُ فى اللوحْ بالقلمْ
نافذ الأحكامْ على كُل الأممْ
لو يحاز الدنيْا تصبحْ لك خدمْ
مش حتمحي حرفْ واحدْ أو تغيّر رقم واردْ
بالطبيبْ والمالْ وبالنّوحْ والأنين

اترك الباطل وصاحبه وذمته
الطريق واحد بدايته وآخرته
ما نجا مخلوق بحزمه وفكرته
حبل واحد له بداية وبالطبيعة له نهاية
والمدى مجهول لكل السالكين

خيمة زرقا غطت الكون والأنام
بين طقوس أضداد لها صحو وغمام
لارتفاعها في القلوب كل احترام
دي بأفلاكها مطيعة مع كواكبها البديعة
عاجزة مثلك عن رضا المستصرخين

يوم بداية الخلق والصانع صنع
آخر الناس بعدها الزارع زرع
آخر الزرع البذور ومنها طلع
شيء ظهر زي الشريعة وشيء لبس توب الصنيعة
في الأزل مقدور على المتأخرين

كل حادث أصله تمهيد السريرة
السعادة والتعاسة في البصيرة
والكدر والصفو من نوع الخميرة
والعجيبة طول كفاحنا ليه مجيئنا وليه رواحنا
والسبب إيه مبتدين أو منتهين

فى الأزل من طينة الكرم ارتويت
لما نشوتها سقته وحى انتشيت
قبل ما تكون فى الوجود صورتى بديت
أبقى معها فى اتصال عندها عرفت الجمال
قبل ندمان الوجود الأولين

إيه يفيد اللوم وعذالى ف ضلاله
وانت عارف عذل أصحاب الجهاله
يجعلوا التسبيح مفاتيح للقواله
يفتحوا الباب العسير فى أمل مالوش نظير
أى مفتاح يفتح الحصن الحصين

حانه يظهر فيها نور الحسن كامل
فى سناها الحق له فيها دلايل
نار ونور فيها وفيها الصفو واصل
عند عصيانها وطاعه   هى مصباح الجماعه
زى منهاج الوصول للمتقين

ينبقى من كتر العطش غاب عن صوابه
بحر قدامه وناس تمنع شرابه
إن شرب مذنب يكون واجب عقابه
والمقدر منه مهرب   وان وقع فيه يبقى أذنب
مش عجيبه ذنب مكتوب ع الجبين

إحنا واقفين والفلك بالسرعه داير
عند تقديرنا القدر ضاحك وساخر
حتى في النوم دهرنا صاحي وساهر
لو فرضنا العين بصيره نعمل ايه والإيد قصيره
واللى طايعين للمقدر مسرفين

هي اصل الدنيا معشوقه جميله
والنفوس مخلوقه من طينه الرذيله
والجمال سر الهوى ودنياك خليله
تفتن الضدين سوى نفس طامعه في هوى
إن نهاها العقل راح في المهزومين



يا إلهي يا هداية كل سالك
يا إلهي يا منجي من المهالك
يا مهيمن أنت مالك كل مالك
تشفي أمراض العليل ترحم العبد الذليل
تقبل التايب وعفوك له ضمين

إنت يا مولاي علام الغيوب
إنت يا مولاي غفار الذنوب
إنت يا مولاي فراج الكروب
والضعيف مالوش إراده انت تهديه للسعاده
ورحمتك تقبل جميع المذنبين

النشيد الثالث

١٩٤٠م — ١٣٥٩هـ

حين مضى رمضان وجه بعد الصيام

عيد على الدنيا سعيد

قلت اسلى النفس من ذكرى الغرام

وافتكر عهدى البعيد

بعدها فكرت فى حال الأنام

قصدى عبره من جديد

كام مواعظ تحت استار الظلام

فيها انوار الهدايه فى الغياهب

التقيت معمل دخلته
قلت للصانع سلام رد التحية
فيه ماعون صوته سمعته
كلم التاني برموز أسرار خفية
بعد طول ظني افتكرته
من خيال الفكر وحي الشاعرية
جه في سمعي بعض شيء منه فهمته
زي رمز الحب عين كلمها حاجب

مش عجيبه الصانع الماهر صنعني

من تراب في دي المثال

بعدها صورني في قالب جعلني

تحفه في غاية الجمال

بعد تكويني وإبداعي عدمني

كان نصيبي للزوال

ليه بناني ياترى وبعدين هدمني

عفوك اللهم في صنعك عجايب

لِيهْ تِرْكْتِنِي لِطِفْل قَاصِرْ
لَمَّا خَلَّانِي بَقِيتْ لِعْبَه فِي إيدُه
مُسْتَبِدْ الصُّحْبَه غَادِرْ
كَامْ سَقِيتُه الشَّهْد حِينْ يطلبْ أزِيدُه
واللِّي كَانْ صَوَّرْنِي مَاهِرْ
مِنْ هَوَى أوْ شَهْوَه جِيتْ مِنْ نُوعْ عَبِيدُه
حِكْمَة المُبْدِعْ دَقِيقْ الصُّنْعْ قَادِرْ
لُه فِي أفْعَالُه حِكَمْ مِنْ غِيرْ مُحَاسِبْ

طَالْ سُكُوتْ الكُلْ قَامْ مَاعُونْ خَطِيبْ
مُضْطَرِبْ أعْوَجْ مِهِينْ
قَالْ ظَلَمْنِى اللّى رَأى شَكْلِى المعِيبْ
يُضْحِكْ البَاكِى الحَزِينْ
واللّى صَوّرْنِى عَلَى النّوعِ العَجِيبْ
دِى إرَادْتُه وَدَهْ أمِينْ
قَالُوا شَوّهْنِى وَدِى قِسْمَه وْنَصِيبْ
والإرَادَه سَهْمَهَا فِى الخَلْقِ صَايِبْ

قامْ هنا كْ ماعونْ ينادِى

م العطشْ شاكِى لإخْوانه عِليلْ

فى بُكاهْ بيقُولْ فُؤادِى

إطْفوا نيرانه بِكاسْ من سلْسبِيلْ

فى سبِيلْ الرّاحْ مُرادِى

فى هوى المحْبوبْ وفى حُبْ الجمِيلْ

فى ضلالْها وسْط نُدْمانْها رشادِى

وعنْدِ ساحِتْها الهوى مخْطُوبْ وخاطِبْ

المواعين كلها في دي الجدال

واحنا واقفين في عجب

وارتفع فوق الجميع ضوء الهلال

وانجلى بالنور سبب

مالت الأغصان معاها الكل مال

من أناشيد الطرب

زفوا بشرى الأنس مع بنت الخيال

نورت شمس السعادة كل جانب

رَوّى نفْسِى فى حيَاتِى
وانعِشْ المُهْجه بِكَاسْ تطْفِى شجونى
حَتّى فى سَاعة مَمَاتِى
مِنْ دِنَانْ بنْتِ العنَاقِيدْ غسّلونى
تحْتْ أشْجارْهَا رُفاتِى
إدْفنوهَا ومِنْ ورَقْها كفّنونِى
سَجّلوهَا وعَهْدهَا فى ذِكْريَاتِى
واشْربُوا فى محبّتى كاسِ الحَبايِبْ



رُبَّمَا تِصْبَحْ رُفَاتِى بَعْدْ حِينْ
فَخ فِى مَعْمَلْ خُمُورْ
قَبْرِى يِصْبَحْ مَصْيَدَه لِلْمَخْدُوعِينْ
مِنْ صَعَالِيكْ الغُرُورْ
يعتقدْ فى مَذْهَبِى الفُوز اليَقِينْ
فى غَرَامْ الشُّرُورْ
لَوْ تقول أُمّ الصَّفَا لِلشَّارِبِينْ
قُولْ كَمَانْ أُمّ الكَبَايِرْ والمَصَايِبْ

عندها الويل والخساره

فى هواها تخسر المال والشرف

كل كاس منها دعاره

فى طريقها كل أسباب التلف

قالوا أصل النار شراره

وأصلها من أخبث العود انصرف

مهلك الأعمار حلاوتها مراره

واللى شاريها ربح سوء العواقب

كم حلفت اهجرها واكذب فى يمينى
ضاعت الايمان هدر
كم اقول يا نفس عنها ابعدينى
واستعدى للسفر
أرشدك واجب عليكى تنصفينى
قبل ما أصبح أثر
أغلبك بالخير وبالسوء تغلبينى
وابنى ركن الصدق تبنى حصن كاذب

قالوا فى الكأس روحانية
والروحانية الصحيحة من هباته
روحها أوهام شيطانية
هى روحانية المحروم فى ذاته
قام جعل منها مطية
وهى زور كذابة واللى الزور صفاته
له خيال باطل وله حالة صناعية
قلبه ولسانه وحتى الروح أجانب

لو جعلت العزله فى الدنيا نصيبك
تعرف العيش السعيد
مش جميع الناس صديقك أو حبيبك
مش جميع أيامنا عيد
فيه بعيد يوفى ويغدر بك قريبك
كام قريب لكن بعيد
يمكن الموت فى دوا من إيد طبيبك
والحياة من سقم فى بعض التجارب

دنيا ميدانها شرور
والنجاح فيها لأسرار فى غايات
سعدها لأهل الغرور
والخسيس مضمون نجاحه فى الحياة
هىّ زور وصاحبها زور
جرد الروح من جميع المكرمات
والحسد فى الناس طبيعة من دهور
واللى فاز من حظها خادع موارب

الحظوظ مقسومه فينا
والهوى تجرى على غير المراد
بعض شئ منها يوافينا
بعد بذل العمر كله فى جهاد
وان غضبنا أو رضينا
الألم والشكوى عصيان وانتقاد
واللى قالوا كام تعبنا وكام سعينا
قول لهم حق الذكا قبل المطالب

لهف قلبي يا ترى يعود الشباب
والزمان اللي مضى
مع أحبانا اللي غابوا في التراب
والا كان حلم انقضى
والزهور جفت وشادي الصفو غاب
راح وبالهجر ارتضى
واللي طال هجرانه لم يبعث جواب
كان يعزي القلب ويقول م اللي غايب

لو شعاع الحق يظهر
للعيون فى ساحة الدنيا العظيمه
تلقى نور العدل يبهر
كل عميان القلوب أهل النميمه
والمهج بالتوبه تعمر
والنفوس ترجع بحب الخير كريمه
واللى تاه فى أوسع الوديان ويقدر
ع الرجوع يطوى المشارق والمغارب

آه لو يعلم بأسرار الغيوب

لو قرا المنحوس كتابه

كان دعا رب القضا يمحي الذنوب

أو دعاه يسقط حسابه

كان يجيب لوح من دهب خالي العيوب

يجعله صفحة جنابه

في الميعاد أو في الصراط وقت الكروب

يلقى لوح خيرات دهب مليان مناقب


إنتَ يا بَدْر الوُجُودْ

نورَكْ الهادِى لعُشَّاقِ الجَمالْ


عُودْ لأهْلِ الصَّفْوِ عُودْ

إحْنا فى روضِ الصَّفا أجْملْ مِثالْ


إنْ طَوانِى المُوتْ تجُودْ

بالزِّيارَه وتنْشرِ النُّورْ فى الرِّمالْ

تنْعِش الرُّوح مِن سَنا بدْرِ السُّعُودْ

عَادة الأرْواحْ بتِسْعِدْها الكواكِبْ

يا كريم بابك قصدناه بالخضوع

جود بعطفك يا سميع

كم يساوي قلب لم يعرف خشوع

عبدك التايب مطيع

كم تساوي عين بخيله بالدموع

والبكا أكبر شفيع

والندم فيه اعتراف لك بالرجوع

للصواب والعفو غاية كل تايب